تأثير ابن رشد على مر العصور

الدكتور محمد كامل عياد

١ ـ في العالم الاسلامي :

قال المستشرق الهولاندي (دي بور) في كتابه القيم : « تاريخ الفلسفة في الاسلام » : « يبدو كأنما قدر لفلسفة المسلمين أن تصل في شخص (ابن رشد) الى فهم (آرسطو) ثم أن تفنى بعد بلوغ هذه الغاية ... فإنه لم يكن لفلسفة (ابن رشد) ولا لشروحه على مذهب (آرسطو) سوى أثر قليل جدا في العالم الاسلامي . »(١)

ابن رشد ومحي الدين بن عربي :

يروي (محيي الدين بن عربي) / ٥٦٠ ـ ٦٣٨ هجرية ١١٦٤ ـ ١٢٤٠ ميلادية / انه شهد جنازة (ابن رشد) الذي توفي في مراكش (سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) ثم نقلت جثته الى مسقط رأسه قرطبة . ويقول إنه حضر تحميل الجثة على احدى الدواب ورأى كيف وضع التابوت على جانب ووضعت كتب ابن رشد على الجانب الآخر لأجل التوازن .(٢)

إن هذا المشهد المريع يبدو كأنه رمز لفاجعة الفلاسفة المسلمين

---

(١) دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام . ترجمة (أبو ريدة) القاهرة ١٩٣٨ . ص ٢٥٦ ـ ٢٦٨ .

(٢) فرح انطون ، ابن رشد وفلسفته ، الاسكندرية ١٩٠٣ صفحة ٢٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذين ظلوا منذ عهد (الكندي) و (الفارابي) و (ابن سينا) و (ابن باجة) و (ابن طفيل) الى (ابن رشد) يناضلون في سبيل التفكير الحر وبناء العلم الآلهي الذي يطمح الى فهم الوجود وادراك الخلود .

ان موت (ابن رشد) كان خاتمة مرحلة مشرقة ازدهرت فيها الفلسفة العقلانية والنزعة العلمية فيحين أن ظهور (محيي الدين بن عربي) في ذلك الوقت بالذات كان ايذانا ببدء مرحلة أخرى سادت فيها الحركة الصوفية والنزعة الدينية ـ التقليدية .

ابن رشد وابن سبعين :

يمكن أن نلاحظ مدى الإهمال الذي أصاب (ابن رشد) في بلاده بعد موته اذا رجعنا الى ما كتبه الفيلسوف والمتصوف الاندلسي (ابن سبعين) / ٦١٤ ـ ٦٦٩ ، ١٢١٧ ـ ١٢٦٩ / الذي عاش أيضا في عهد الموحدين ونفي من البلاد ومات منتحرا في مكة والذي ألّف كتاباً في (أسرار الحكمة المشرقية) وآخر في الموسيقى وبعض الرسائل المتنوعة . وقد جاء في احدى هذه الرسائل قوله : « أما (ابن رشد) فمفتون بآرسطو ، معظّم له ويكاد أن يقلده في المحسوسات والمعقولات . وأعظم تآليفه من كلام (آرسطو) ، إما ينقله أو يلخصه . وهو قصير الباع ، قليل المعرفة ، بليد التصور . غير أنه قليل الفضول ومنصف ، وعالم يعجزه ، ولايعول عليه في اجتهاده لأنه مقلد لآرسطو . » (١)

ان التعصب والتحامل الظاهرين في هذا الكلام يكشفان عن مدى التردي والانحراف في الحياة الفكرية إذ ذاك .

---

(١) *L.Massigno Opera Minora. T.II. Beirut 1963 P. 509 — 510*

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن رشد وابن خلدون :

يتفق مؤرخو الفلسفة على أن أعظم مفكر عبقري ظهر في العالم الاسلامي بعد (ابن رشد) هو (ابن خلدون) / ٧٣٢ ــ ٨٠٨ ، ١٣٣٢ ــ ١٤٠٦ / الذي خلد تاريخ الفكر البشري اسمه واعتبره المؤسس الحقيقي لفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع . ويقول المؤرخ الانكليزي المشهور (توينبي) : « لا شك في أن مقدمة ابن خلدون أعظم عمل من نوعه خلقه أي عقل في أي زمان ومكان » . (١)

ولكن من الغريب أن نرى (ابن خلدون) من جهة يتبع مناهج البحث العلمي ويؤمن بقدرة العقل البشري على ادراك الحقائق المتصلة بالحس والتجربة ويسعى الى الكشف عن قوانين الظواهر الطبيعية وتعليل الحوادث التاريخية والاجتماعية بطريقة عقلانية بينما هو من جهة أخرى يدعو إلى ابطال الفلسفة ويستنكر مزاعم الفلاسفة بأنهم يستطيعون إدراك الموجودات على ما هي عليه بالبراهين العقلية ..

وفي الحقيقة فإن (ابن خلدون) قد اقتبس كثيرا من آراء الفلاسفة المتقدمين عليه ولكنه تأثر في الوقت نفسه بالحركة المعارضة للنزعة العقلية والداعية الى الأخذ بالمبادىء الصوفية والى التمسك بالعقائد الدينية الغيبية . ولا ننسى أن (ابن خلدون) قد عاش في عصر تحول وانتقال وتفكك وأن حياته كانت مضطربة وأحواله متقلبة مع تقلب أحداث زمانه . ولذلك كان هذا التناقض في آرائه .

وعلى كل حال يمكننا التأكيد على أن (ابن خلدون) قد درس في شبابه الفلسفة وأنه ألّف عدة رسائل فلسفية مثل تلخيص (المحصل

---

(١) *A. Toynbee, A study of History III 332*

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في أصول الدين) لفخر الدين الرازي وتلخيص (المنطق) لابن رشد . الا أن هذه الرسائل التي أشار اليها صديقه (لسان الدين بن الخطيب) لا نجد لها ذكراً في مقدمة ابن خلدون إما لأنها كانت تافهة في نظره أو لأن موقفه من الفلسفة كان قد تبدل خوفاً من الارهاب الفكري .

والدراسات الحديثة ما زالت تسعى الى الكشف عن مدى تأثر (ابن خلدون) بفلسفة (ابن رشد) وعلى الأخص بنظريته في المعرفة .(١)

« المفاضلة » بين الغزالي وابن رشد :

ظلت الحياة الفكرية والحركة العلمية في البلاد الاسلامية خلال العصور التالية بعد موت (ابن رشد) آخذة في التقهقر والجمود مقتصرة على العناية بجمع المتون والمختصرات والشروح لكتب اللغة والفقه والتصوف . أما الأبحاث العلمية والفلسفية فقد أهملت كليا ..

وعلى الرغم من قيام الدولة العثمانية وازدياد قوتها واتساع فتوحاتها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر لم يتغير هذا الوضع .

كان من المنتظر بعد فتح القسطنطينية أن تتجه أفكار الباحثين الى تراث اليونانيين في الفلسفة والعلوم والاستعانة بتفاسير (ابن رشد) لفهم مؤلفات (آرسطو) ولكننا نستدل من الأخبار أن المؤلفات اليونانية نقلت اذ ذاك الى البلاد الاوروبية وأن النزعة الصوفية والتقاليد الدينية هي التي سادت في البلاد الاسلامية .

---

(١) انظر ابحاث المستشرقة السوفياتية (سفيتلانا باتسييفا) عن « نظريات ابن خلدون » . ترجمة رضوان ابراهيم . منشورات دار المغرب العربي . تونس ١٩٧٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يروي المستشرق الالماني (ماكس هورتن) في مقدمة ترجمته لكتاب (تهافت التهافت) لابن رشد أن السلطان محمد الثاني قد أعلن بعد فتح القسطنطينية عن مسابقة للمفاضلة بين (تهافت الفلاسفة) للغزالي و (تهافت التهافت) لابن رشد [١] ، وأنه قد تقدم الى المباراة (مصلح الدين خواجة زادة) ، الذي أيد آراء الغزالي ونال الجائزة بينما هزم خصمه (الطوسي) الذي استاء من ذلك وعاد الى بلاده فيما وراء النهر .

على أن الأب (موريس بويج) (الذي نشر كتاب ابن رشد مع دراسة علمية وفهارس كاملة) لاحظ بأ نليس هناك في المصادر ما يؤيد هذه الرواية على هذا الشكل القصصي . [٢]

وفي الحقيقة اذا رجعنا الى المصدر الأساسي وهو كتاب (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية) للعالم التركي المشهور (طاش كوبري زادة) / ٩٠١ ــ ٩٦٨ ، ١٤٩٥ ــ ١٥٦١ / نراه يذكر بأن خواجة زادة ألّف بأمر من السلطان محمد الفاتح كتاباً بعنوان (التهافت) . [٣]

وفي مصادر أخرى نجد أن السلطان محمد الفاتح استدعى أيضا العالم علاء الدين علي الطوسي/مات في سمرقند سنة ٨٧٧هـ ــ ١٤٧٢م/ الى القسطنطينية وعيّنه مدرساً وكان يحضر أحياناً دروسه ثم أمره بأن

---

(١) *Max Horten. Die Hauptlehren des Averroes. Bonn 1913.*

(٢) (تهافت التهافت) لابن رشد ، تحقيق موريس بويج . بيروت ١٩٣٠ . ص *XIX*

(٣) (الشقائق النعمانية) المطبوعة على هامش كتاب (وفيات الاعيان) لابن خلكان . القاهرة سنة ١٢٩٩ . (ص ١٤١/١٥١) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يكتب في موضوع التهافت فألّف كتاب (الذخر) أو (الذخيرة في المحاكمة بين الغزالي والحكماء) دون الإشارة الى ابن رشد .

٢ ـ اثر (ابن رشد) في العالم الاوروبي

على العكس من العالم الاسلامي أسرعت البلاد الاوروبية منذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادي إلى اقتباس فلسفة ابن رشد فاندفع الكثيرون إلى ترجمة مؤلفاته وانصرف آخرون إلى دراستها والتعليق عليها سواء كان ذلك لمهاجمتها أو الدفاع عنها .

واذا كان اسم (ابن رشد) كاد أن ينسى في البلاد الاسلامية مدة سبعة قرون فقد ظل صداه يتردد في أوروبا المسيحية حتى أواخر القرن السابع عشر، واذا كان أثره في الثقافة العربية ـ الاسلامية قد بقي ضئيلا ، بل كاد أن يكون معدوماً ، فإن تأثيره كان قوياً ، نافذاً في تطور الثقافة الغربية والفكر الاوروبي الحديث ..

ترجمة (ابن رشد) الى العبرية :

ترجمت مؤلفات (ابن رشد) في بادىء الأمر الى العبرية من قبل اليهود الذين هاجروا من الأندلس الى جنوبي فرنسا وايطاليا في أواخر القرن الثاني عشر . وقد كان للفيلسوف اليهودي المشهور (موسى بن ميمون) / ١١٣٥ ـ ١٢٠٤ / تأثير كبير في تشجيع حركة الترجمة هذه . فهو قد نشأ في الأندلس ثم هاجر الى مصر حيث عيّن طبيباً خاصاً بنور الدين بن صلاح الدين الأيوبي . وكان معجباً بمؤلفات (ابن رشد) وظل في رسائله يدعو الكتّاب اليهود الى دراستها وترجمتها . ويدل كتابه (دلالة الحائرين) الذي ألّفه في سنة ١١٩٠ باللغة العربية على أنه كان يتفق مع (ابن رشد) في كثير من القضايا الفلسفية ويحاول مثله التوفيق بين آراء (آرسطو) والعقائد الدينية . وقد ترجم الكتاب الى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العبرية واللاتينية ونـال شهرة واسعة وتأثر به كثـير من المفكرين من (البرت الكبير) و (توما الآكويني) الى (سبينوزا) .

خصص العلامة الفرنسي (ارنست رينان) في كتابه عن (ابن رشد والرشدية) عدة فصول لاستعراض الكتّاب اليهـود الذين اندفعوا بحماسة الى ترجمة مؤلفات ابن رشد ودراستها منذ القرن الثالث عشر حتى الخامس عشر . ولا بد هنا من الإشارة الى أن بعض مؤلفات (ابن رشد) العلمية والفلسفية قد ضاعت نصوصها العربية ، فلم ينتقل الينا منها الا ترجمتها العبرية أو اللاتينية . مثال ذلك كتاب (جوامع سياسة أفلاطون) الذي تولى فيـه (ابن رشـد) تلخيص آراء (أفلاطون) السياسية والأخلاقية وشرحها والتعليق عليهـا ثم محاولة تطبيق بعض المبادىء على الأوضاع السائدة في البلاد الاسلامية . في هـذا الكتاب يؤيد (ابن رشد) آراء (أفلاطون) في المرأة مثلا فيعترف بأنها لا تختلف عن الرجل في الطبيعة والقوى ، وان كان الرجل يفوقها بالدرجة في بعض الميادين بينما هي تفوقه في ميادين أخرى وبذلك يخالف تماماً (آرسطو) الذي ادعى بأن المرأة بطبيعتها دون الرجل ...

وقد نشـر مؤخراً المستشرق (ف. روزنتال) الترجمـة العبرية القديمة لهذا الكتاب مع ترجمة انكليزية . (١)

الامبراطور فريدريك الثاني وانتشار كتب ابن رشد :

لدى البحث في تأثير (ابن رشد) في الغرب اللاتيني لا بد من

---

(١) *Franz Rosenthal, Averroes Commentary on Plato's Republic. Cambridge 1963.*

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الوقوف عند الدور الكبير الذي قام به الامبراطور (فريدريك الثاني) في سبيل ترجمة مؤلفات ابن رشد ونشرها .

وصف المؤرخ السويسري المشهور (بوركهاردت Burckhardt) هذا الامبراطور ، الذي كان تلميذاً للعرب ، بأنه أول أوروبي حديث وأنه سبق عصر النهضة في ايطاليا ومهد له بما اقتبسه من مظاهر الحضارة العربية ــ الاسلامية وأنظمتها الادارية والاقتصادية وبما حرص على نقله عن العرب من تراث ثقافي وانتاج علمي وفني ..

نشأ (فريدريك الثاني) / ١١٩٤ ــ ١٢٥٠ / في جزيرة صقلية التي ورث ملكها عن والدته . وعلى الرغم من أن الجزيرة كانت خرجت من أيدي العرب قبل نحو مائة عام من عهده فإن آثار الثقافة العربية ــ الاسلامية كانت لا تزال حية فيها ، وظل الكثيرون من سكانها يعتنقون الديانة الاسلامية ويتكلمون اللغة العربية ويتمسكون بتقاليدهم وعاداتهم . تعلم (فريدريك) منذ الطفولة اللغة العربية وغيرها من اللغات السائدة في الجزيرة مثل العبرية واليونانية بالاضافة الى اللاتينية والالمانية بطبيعة الحال .

يذكر المؤرخون المسلمون أن الامبراطور لما اتفق مع الملك الكامل الايوبي ودخل القدس سلماً وجاء الى زيارة المسجد الاقصى وقبة الصخرة كان رجال حاشيته جميعهم من المسلمين وبينهم أستاذه الصقلي الذي قرأ عليه المنطق [1] ويقول هؤلاء المؤرخون إن الامبراطور (فريدريك الثاني) كان عالماً ، متبحراً في مختلف العلوم وأنه بعث الى الملك الكامل بعدة مسائل في علوم الطبيعة والحكمة فعرضها الملك على

(١) المقريزي ، كتاب السلوك . القاهرة ١٩٣٤ ص ٢٣٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشيخ علم الدين قيصر المعروف (بتعاسيف) فكتب جوابها . ولعل هذه الاسئلة لا تختلف عن تلك التي أرسلها أيضا الى ملك الموحدين (عبد الواحد الرشيد) فعرضها هذا على الفيلسوف المتصوف (ابن سبعين)، الذي سبق ذكره ، والذي كتب رسالته المعروفة باسم « الأجوبة عن الأسئلة الصقلية » . (١)

يبدو أن أسئلة الامبراطور كانت تدور حول تعاليم (آرسطو) و (ابن رشد) في أزلية المادة وطبيعة النفس وخلود الروح وما شابه ذلك من قضايا فلسفية ودينية بالاضافة الى مسائل علمية مثل تصنيف النباتات وكيفية نمو أجناسها المختلفة وطرائق تلقيحها وتهجينها ، وقد تهرب (ابن سبعين) من اعطاء أجوبة صريحة عن المشاكل الفلسفية والدينية ولجأ الى السخرية وطريقة الجدال وأفاض في شرح تعاليم الفلاسفة المسلمين والمتصوفة بشكل عام وأبدى استعداده لمقابلة الامبراطور شخصياً ومناقشته وارشاده الى الطريق المستقيم . إننا لا نعرف ما اذا كانت هذه الأجوبة قد وصلت الى الامبراطور . ولكن لا شك في أن (فريدريك الثاني) كان يحرص كل الحرص على اكتساب الثقافة العربية ــ الاسلامية ويهتم على الأخص بالعلوم التجريبية من رياضيات وطبيعيات وطب وكيمياء وفلك .

من المعروف أن الامبراطور (فريدريك الثاني) كان على خلاف شديد مع الكنيسة وكان يجاهر بآراء مخالفة للعقائد الدينية . لذلك كان المؤرخون العرب يصفونه بأنه دهري وأنه إنما يتلاعب بالنصرانية . وقد غضب عليه البابا (غريغوريوس التاسع) حتى انه أعلن حرمانه من

(١) م. آماري ، المكتبة العربية ــ الصقلية . تورينو وروما ١٨٨٠ ــ ١٨٨١ . ص ٥٧٣ ــ ٥٧٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الغفران في سنة ١٢٢٧ ثم نشرت الكنيسة بيانات عديدة تتهم فيها الامبراطور بالالحاد والكفر • فقام الامبراطور باصدار بيانات مضادة يكشف فيها فساد رجال الكنيسة وفضائحهم •

يتبين من ذلك أن الامبراطور (فريدريك الثاني) كان في حاجة الى الاستعانة بمؤلفات العلماء والفلاسفة في سبيل مكافحة تعاليم الكنيسة والرد عليها بالبراهين المنطقية والأدلة العلمية •

وقد استدعى (فريدريك الثاني) العالم اليهودي (يعقوب آناتولي) من (مرسيليا) لتدريس اللغة العبرية في جامعة (نابولي) التي أسسها في سنة ١٢٢٤ مستقلة عن الكنيسة • وهناك قام (آناتولي) بترجمة شروح (ابن رشد) الكبيرة • ثم استدعى (فريدريك) عالماً كبيراً آخر هو (ميخائيل سكوت) ، الذي كان ترجم (سنة ١٢١٧) كتاب الافلاك للبطروجي في طليطلة ، فعهد اليه بأن ينقل من العربية الى اللاتينية كتب آرسطو وشروح (ابن رشد) عليها ، مثل شرح كتاب الكون والفساد وكتاب (الآثار العلوية) وكتاب (القوى الطبيعية) وكتاب (عنصر الأجرام السماوية) ثم شرح الطبيعيات وشرح ما بعد الطبيعة •

كذلك كان هناك في بلاط (فريدريك الثاني) مترجم اسمه (هرمان الالماني) نقل الى اللاتينية شروح (ابن رشد) على كتب (آرسطو) في الخطابة والشعر والاخلاق والسياسة •

فلسفة (ابن رشد) في الجامعات الاوروبية :

هكذا انتشرت حوالي منتصف القرن الثالث عشر مؤلفات (ابن رشد) بين الباحثين الاوروبيين وشاعت آراؤه في أوساط المثقفين وتغلغلت فلسفته في الجامعات وبالاخص جامعة (باريس) •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان أكثر الأساتذة ، الذين سمح لهم بتدريس فلسفة (آرسطو) يعتمدون في الدرجة الاولى على شروح (ابن رشد) الذي اشتهر باسم الشارح اطلاقاً • وقد امتازت طريقة ابن رشد في الشرح على غيرها لأنه كان يتناول النص بالايضاح فقرة ، ويفسر كلام (آرسطو) تفسيراً دقيقاً ويحلل معانيه تحليلا عميقا • فكان يضع لهذه الغاية ثلاثة شروح : صغير ومتوسط وكبير • فهو اما يلخص أو يوضح باختصار أو يسهب في التفسير ويستطرد في التعليق • وهذه الطريقة التدريجية ملائمة لحاجات الطلاب ومفيدة في التعليم ولذلك نالت استحسان الجميع •

وعندما جاء (توما الآكويني) الى باريس في سنة ١٢٥٢ لاحظ أن (الرشدية) تتمتع بنفوذ كبير في الجامعة وتسيطر على عقول الشباب هناك كما في جامعات ايطاليا ، فلما عاد الى روما وأخبر البابا (اسكندر الرابع) بذلك أسرع هذا وأوعز الى (البرت الكبير) ، الذي كان يدرس في جامعة باريس ، بأن يؤلف رسالته « وحدة العقل ــ ضد الرشدية » • ثم تولى (توما الآكويني) بنفسه التدريس في جامعة باريس سنة ١٢٦٩ وأخذ يعمل على مكافحة الرشدية فنشر أيضا كتاباً بعنوان « وحدة العقل أو الرد على الرشديين » • ان الحملة العنيفة التي قام بها (البرت الكبير) و (توما الآكويني) تدل على أنهما قد اطلعا على آراء (ابن رشد) وأدركا خطرها على تعاليم الكنيسة • ونستطيع بالرجوع الى مؤلفاتهما أن نلمس مدى تأثير تلك الآراء في تفكيرهما وتفكير المعاصرين • ولا ننسى أن (توما الآكويني) قد طوّب قديسا في سنة ١٣٢٣ وأن مؤلفاته ظلت المرجع الأساسي للدراسات الفلسفية ــ الدينية في العالم المسيحي حتى هذا اليوم •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إن البرت الكبير (ولد سنة ١١٩٣) قد درس في جامعة (بادوا) وتولى التعليم في مدارس الآباء (الدومينيكان) ثم في جامعة (باريس)• وقد ألّف عدداً كبيرا من الكتب في الفلسفة واللاهوت • وكان معجباً بآرسطو فأخذ يدعو الى تفسير مؤلفاته للتوفيق بين آرائه والعقائد المسيحية • وقد اتبع طريقة (ابن سينا) في الشرح فكان يذكره في كل صفحة من كتبه في حين أنه لا يورد اسم (ابن رشد) الا نادرا • ولكن يبدو أن جميع شروح ابن رشد المعروفة اذ ذاك كانت بين يديه وأنه استفاد منها • وقد ألّف بأمر من البابا رسالة خاصة يعارض فيها مذهب (ابن رشد) كما أخذ يتعاون في سبيل مناهضة (الرشدية) مع أحب تلاميذه اليه أي (توما الآكويني) •

ابن رشد وتوما الآكويني :

ولد (توما الآكويني) سنة ١٢٢٥ ودرس في جامعة (نابولي) التي كان أسسها الامبراطور (فريدريك الثاني) وأصبحت أهم مركز للثقافة اليونانية والعربية وقام فيها (ميخائيل سكوت) بترجمة شروح ابن رشد الى اللاتينية • وقد قصد (توما) في سنة ١٢٤٥ جامعة (باريس) ليتتلمذ على البرت الكبير ثم انتقل معه الى (كولونيا) وظل في صحبته حتى سنة ١٢٥٢ وبعد ذلك بدأ بالتدريس في جامعة (باريس) حيناً وفي المعهد البابوي حيناً آخر •

انصرف (توما الآكويني) الى دراسة (آرسطو) ليس حباً في هذا الفيلسوف ، بل خوفا من (ابن رشد) الذي كانت شروحه وتفسيراته لفلسفة (آرسطو) أخذت تغزو الفكر المسيحي في اسبانيه وفرنسة وايطالية • وقد أدرك (توما الآكويني) أن مقاومة فلسفة (ابن رشد) لا تتم بحظر تدريسها وتكفير من ينظر فيها ولعنه • واستطاع أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يقنع رؤساء الكنيسة بأن مذهب (آرسطو) يمكن أن يصبح أساسا للفلسفة المسيحية اذا نقي من الشوائب التي أدخلتها عليه الافلاطونية الحديثة واذا فسر تفسيرا ملائما . وقد ادعى أن (ابن رشد) وأتباعه أساؤوا فهم آراء (آرسطو) وأخطأوا في تفسير أقواله . وأخذ يسعى للحصول على مؤلفات (آرسطو) مترجمة عن اليونانية مباشرة وبدأ يكتب التفاسير والشروح لهـــا . ويلاحـظ الفيلسوف الانكليزي (برتراند رسل) [١] ان دراسة كتاب (آرسطو) في (النفس) مثلا ، تبين لنا ، حسب رأيه ، أن وجهة نظر (ابن رشد) وشرحه أقرب الى الصحة من تفسير (توما الآكويني) .

ومهما كان الأمر فقد درس (توما الآكويني) مؤلفات (ابن رشد) واتبع طريقته في تفسير كتب (آرسطو) وتأثر بتعاليمه ، فكان ، كما قال (رينان) ، [٢] « أكبر تلميـــذ وأخطر خصم لابن رشـــد في وقت واحدة » . لقد سلك (توما الآكويني) نهج (ابن رشد) في محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين واقتبس الكثير من آرائه إلا أنه خالفه في بعض القضايا الهامة مثل نظرية وحدة العقل الانساني والقول بأزليـــة العالم واستحالة الخلق من العدم . وعلى الرغم من أن (توما الآكويني) قد هاجم (ابن رشد) وانتقد آراءه الا أنه « ظل يحترمه ويعتبره حكيما « وثنيا » جديرا بالتقدير والرحمة لا مجدفا يستحق اللعنة » . [٣]

انصار (ابن رشد) ــ سيجر دوبرابانت :

فيما كان أتباع الكنيسة يهاجمون فلسفة (ابن رشد) ويتهمونه

(١) *B. Russel, A History of Western Philosophy New york 1945 P. 453.*

(٢) ارنست رينان ، ابن رشد والرشدية ، القاهرة ١٩٥٧ ص (٢٤٨) .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالالحاد والزندقة قام أنصاره الكثيرون يدافعون عنه ويؤيدون تعاليمه .

وكان الجدال قد احتدم على الاخص في جامعة (باريس) بين خصوم (ابن رشد) بزعامة (توما الآكويني) من جهة وبين مؤيديه بزعامة (سيجر دو برابانت) من جهة أخرى .وقد انبرى (سيجر دو برابانت) للرد على الخصوم في رسالة بعنوان : « ضد ذينك الرجلين المشهورين في الفلسفة : البرت وتوما » فقال ان هذين يفسران الفيلسوف (ويعني آرسطو) تفسيرا خاطئا وإن (ابن رشد) على العكس ، هو الذي جاء بالتفسير الصحيح .[1] وكان (سيجر دو برابانت) يدرس الفلسفة في جامعة باريس من (سنة ١٢٦٦ ــ الى ١٢٧٦) . وهو من أحرار الفكر ، وتدل الاجزاء الباقية من مؤلفاته على أنه كان عالما ، واسع الاطلاع ، يكثر من الاستشهاد بأقوال (الكندي) و (الفارابي) و (ابن سينا) و (ابن باجة) و (ابن رشد) و (ابن ميمون) . وكان يقول ان الآله هو غاية الكون وليس السبب الفاعل وإن العالم أزلي وإن القانون الطبيعي لا يتبدل كما كان ينكر الخلود الفردي ..

روجر بيكون :

نذكر كذلك بين أنصار (ابن رشد) الفيلسوف الانكليزي (روجر بيكون) / ١٢١٤ ــ ١٢٩٢ / الذي يعد من أشهر العلماء في القرون الوسطى ، بل يعتبر الباعث الأول للنهضة العلمية في أوروبا ، إذ سبق سميّه المشهور فرانسيس بيكون / ١٥٦١ ــ ١٦٢٦ / بأكثر من ثلاثة قرون في الدعوة الى الطريقة التجريبية والى اتخاذ الرياضيات أساساً لكل بحث في العلوم الطبيعية . وقد أُبعد (روجر بيكون) من

(١) *De Wulf, History of Medieval philosophy t.II. London 1925 P. 103.*

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جامعة (اكسفورد) سنة ١٢٥٧ بتهمة الالحاد وعاش في (باريس) مدة من الزمن تحت المراقبة . وورد ذكر اسمه مع (سيجر دوبرابانت) بين الأساتذة الذين اتهمهم أسقف (باريس) بتدريس تعاليم (ابن رشد) الالحادية .

وقد زار ايطالية حيث اطلع على بعض المؤلفات الطبية العربية . وكان يطالب بتدريس اللغات العبرية واليونانية والعربية والكلدانية في الجامعات ويدعي لنفسه القدرة على الكتابة باليونانية والعبرية كما يبدو أنه درس العربية . وهو كثيراً ما يستشهد في مؤلفاته بأقوال (الفارابي) و (ابن سينا) و (ابن رشد) . وكان يميل الى نظرية (ابن رشد) في العقل الفعال ووحدةالوجود . ومن أقواله : « كان (ابن سينا) أول من ألقى نوراً على فلسفة (آرسطو) . ولكنه كابد حملات شديدة من قبل من تتبعوه . وقد ناقضه (ابن رشد) ، الذي هو أعظم من ظهر بعده ، مناقضة لا حد لها . واليوم تفوز فلسفة (ابن رشد) بقبول جميع الحكماء بعد أن أهملت ونبذت وأنكرت من قبل أشهر العلماء زمناً طويلا . وترى مذهبه ، الجدير بالاحترام على العموم ، قد قدر شيئا فشيئا ، وان كان من الممكن انتقاده في كثير من النقاط . »[1] وفي مكان آخر وصف (ابن رشد) بأنه « صاحب المذهب المتين الذي أصلح به أقوال أسلافه وأضاف إليها كثيراً وإن وجب أن يكمل في نقاط أخرى عديدة »[2] .

---

(١) ارنست رينان (ابن رشد والرشدية) ، ص ٢٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مدرسة بادوا وابن رشد :

لا يقتصر تأثير (ابن رشد) في أوروبا على الساحة الفلسفية ، بل يتجلى أيضا في ميادين الطب والعلوم . ويلاحظ (سارتون) في كتابه القيّم « مدخل الى تاريخ العلم » [١] ان شهرة (ابن رشد) في عالم الفلسفة كادت أن تحجب منجزاته الطبية . على أن (ابن رشد) كان يعتبر في الحقيقة من أكبر الأطباء في عصره . فقد ألّف نحو عشرين كتابا في الطب بعضها تلخيصات لكتب (جالينوس) وبعضها مصنفات ذاتية ، وقد ترجم أكثرها الى العبرية واللاتينية وأشهرها (كتاب الكليات في الطب) وهو موسوعة طبية في سبع مجلدات ترجمه الى اللاتينية الطبيب (بونا كوزا) من جامعة (بادوا) في سنة ١٢٥٥ وطبع مرات عديدة مضافا اليه كتاب (التيسير في المداواة والتدبير) لابن زهر . يقول (ابن رشد) في آخر كتاب (الكليات) : إنه هو الذي طلب من صديقه (ابن زهر) تأليف كتاب (التيسير) للبحث في الأمور الجزئية . [٢]

وقد ظل الكتابان يدرسان في الجامعات الاوروبية وبالاخص في جامعة (بادوا) التي أصبحت معقل الرشدية واستمرت في تعليم فلسفة (ابن رشد) حتى القرن السابع عشر .

ومما يستحق الذكر أن (ابن رشد) كان أول طبيب شرح وظيفة شبكية العين كما لاحظ أن الاصابة بالجدري تؤدي بالتالي الى اكتساب المناعة ضد هذا المرض .

كذلك كان (لابن رشد) فضل كبير في تقدم الأبحاث العلمية في

---

(١) *g Sarton . introduction to the History of Science, Baltimore, t. II. 305.*

(٢) ارنست رينان ، (ابن رشد والرشدية) ص ٤٤٥ ـ ٤٤٦ .

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(المناظر) و (الفلك) و (الموسيقى) • فإن في شرحه الكبير والمتوسط لكتاب آرسطو (في النفس) أبحاثاً مستفيضة عن الصوت ساعدت على تطوير علم الموسيقى •

وهذا مكتشف أمريكا (كريستوف كولومبوس) يقول في كتاب أرسله من (هايتي) في (اكتوبر ١٤٩٨) إن (ابن رشد) هو أحد المؤلفين الذين جعلوه يتنبأ بوجود عالم جديد • (١)

(ابن رشد) وتطور الفكر الاوروبي :

يتضح من هذا الاستعراض التاريخي أن (ابن رشد) كان له تأثير كبير في تطور الفكر الاوروبي • ويمكن القول إن (ابن رشد) بدفاعه عن الفلسفة ودعوته الى الاعتماد على العقل والتجربة قد مهّد السبيل ، بصورة غير مباشرة ، الى الثورة العلمية الاوروبية في القرنين السادس عشر والسابع عشر • ولا شك في أن الاكتشافات والاختراعات والابحاث الجديدة التي قام بها علماء ومفكرون أمثال (كوبر نيكوس) و (كبلر) و (غاليلي) و (ديكارت) و (سبينوزا) و (لا يبنيز) و (نيوتن) قد أحدثت انقلابا عميقا وشاملا في نظرة الناس الى الكون والحياة •

وبظهور الفلسفة والعلوم الحديثة اختفى اسم (ابن رشد) حتى منتصف القرن التاسع عشر اذ نشطت الدراسات التاريخية في أوروبا وأخذ المستشرقون ينقبون عن التراث العربي ــ الاسلامي •

ابن رشد والمستشرقون :

في سنة ١٨٥٢ أقدم العلاّمة الفرنسي المشهور (ارنست رينان)

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٢٤ •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على نشر كتابه عن (ابن رشد والرشدية) الذي أثار ضجة كبيرة في المحافل العلمية وأعيد طبعه مرات عديدة • وقد اتّبع (رينان) المنهج التاريخي ــ الانتقادي وتوسع في الكلام على مؤلفات (ابن رشد) وتأثير آرائه في المؤيدين والمعارضين بالغرب وركز اهتمامه على مـا امتاز به (ابن رشـد) من حرية الفكر والتسامح ••

وفي سنة ١٨٥٩ نشر الفيلسوف (سلمون مونك) كتابه : « مزيج من الفلسفة اليهودية والعربية » تضمن مباحث ضافية عن (ابن رشد) وتأثيره في الفلسفة اليهودية كما أشار الى اجتهاداته الخاصة الأصيلة والتعديلات التي أدخلها على تعاليم (آرسطو) وأبدى رأياً مشابها لرأي (رينان) في فلسفة (ابن رشد) •

أما المستشرق الالماني (جوزيف موللر) من جامعة (ميونيخ) الذي نشر في السنة نفسها كتابي « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » و « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة » ثم ترجمهما الى الالمانية في سنة ١٨٧٥ فقد ذهب الى أن (ابن رشد) كان مؤمناً وحريصا على التوفيق بين الفلسفة والدين •

كذلك اعتقد مستشرق الماني آخر هو الفيلسوف (ماكس هورتن)، الذي سبقت الاشارة اليه ، والذي ألّف عدة كتب في الفلسفة الاسلامية وترجم كتاب (تهافت التهافت) الى الالمانية ، فقد قال في مقدمة الكتاب (إن « ابن رشد » مدافع عـن القرآن وعـن العقيدة الاسلاميـة « الارثوذكسية ») ثم أبدى استغرابه من الاسطورة التي جعلت من (ابن رشد) عدوا للدين وزنديقا حر الفكر • وقد عارض رأي (هورتن) هذا ووصفه بالمبالغة كثير من المستشرقين مثل (فاللينو) و (غولد تسيهر) و (دي بور) و (لئون غوتييه) •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن رشد و فرح أنطون :

بعد انتشار كتاب (رينان) وطبع كتاب (تهافت التهافت) لابن رشد (القاهرة سنة ١٨٨٤ و ١٩٠١) أقدم الفيلسوف (فرح أنطون) على كتابة سلسلة مقالات عن ابن رشد في مجلته (الجامعة) بالاسكندرية (سنة ١٩٠٣) ثم جمعها مع ردود الشيخ محمد عبده ونشرها في كتاب بعنوان (ابن رشد وفلسفته) . ويبدو واضحا أن (فرح أنطون) قد تأثّر بآراء (رينان) فسعى مثله الى اظهار النواحي المادية والنزعة العقلانية وروح التسامح لدى (ابن رشد) .

٣ ـ احياء تراث (ابن رشد) في العصر الحاضر

في هذا الوقت تابع المستشرقون اهتمامهم بنشر مؤلفات (ابن رشد) وتحقيقها وبدراسة فلسفته وتقييمها . وفي مقدمة هؤلاء الباحثين يأتي (لئون غوتييه) ، الذي كان أستاذ تاريخ الفلسفة الاسلامية في كلية الآداب بالجزائر ، فترجم كتاب « فصل المقال » الى الفرنسية واتخذ موضوعا لأطروحته في جامعة باريس سنة ١٩٠٩ « نظرية ابن رشد حول علاقات الدين بالفلسفة » ثم أصدر في سنة ١٩٤٨ ، ضمن سلسلة (الفلاسفة الكبار) كتابه (ابن رشد) الذي استقصى فيه آراء الفيلسوف الدينية والعلمية والفلسفية . وقد ذهب الى أن نظرية (ابن رشد) في التوفيق بين الدين والفلسفة تمتاز بالأصالة والابتكار وأنها قد استطاعت لأول مرة في تاريخ الفكر البشري أن تشيد على أساس عقلاني مذهبا فلسفيا كاملا ، نظريا وعمليا في وقت واحد . ثم انتهى الى القول بأن « ابن رشد كان فيلسوفا عقلانيا بأدق ما في هذه الكلمة من معنى ولكنه كان مع ذلك مفكرا توفيقيا واسع الآفاق ، متدينا على طريقته الخاصة ، حريصا كل الحرص على تحديد ما يوافق كل طبقة من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الناس من أعمال العبادة ومظاهر الاعتقاد فللعامي من الجمهور ظاهر الشرع كما هو ، لأنه ضروري لحفظ النظام الاجتماعي وللفيلسوف دين العقل والبرهان ، لأنه يستطيع به أن يتصل بالعقل الفعال في أزليته ... لقد تفوق (ابن رشد) على من سبقه من مفكري الاسلام الذين مهدوا له الطريق بمؤلفاتهم فكان أوسع اطلاعا من (الكندي) و (الفارابي) و (ابن باجة) ، وأقوى منطقا وأكثر اتزانا من (ابن سينا) . »[1]

وقد صدرت في المدة الأخيرة في العالم العربي مؤلفات عديدة عن فلسفة (ابن رشد) ضمن الحركة الجديدة لإحياء التراث العربي ـ الاسلامي ، إلا أنها ما زالت في الغالب تعتمد على دراسات المستشرقين .

ويلاحظ أن الدراسات الحديثة عن (ابن رشد) تعنى قبل كل شيء بالناحية التاريخية ـ الانتقادية فتبحث عن العصر الذي نشأ فيه وعن مدى تأثّره بأسلافه وتستعرض آراءه التي تعكس أوضاع مجتمعه ثم تحاول هذه الدراسات تقييم فلسفة (ابن رشد) في اطار نظرة تراثية تربط الحاضر بالماضي وتسعى الى ابراز العناصر الحية ، الخصبة ، القابلة للتطور من تعاليمه . وهذه العناصر تختلف بطبيعة الحال حسب وجهة نظر الباحثين فنرى بعضهم يؤكد على النواحي الدينية وآخرين يهتمون بالنزعة العقلانية والاتجاه التحرري وغيرهم يبرزون العناصر المادية والالحادية ..

والأبحاث الكثيرة التي نشرت حديثا في البلاد الاشتراكية عن (ابن رشد) تكشف عن أهمية هذه العناصر المادية في فلسفته التي تمتاز حقاً باتجاهها الواقعي وصبغتها العلمية ونزعتها التحررية .

---

(١) *Leon Cautier, ibn Rochd Paris 1948.*

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي الختام يجدر بالباحثين العرب أن يزيدوا من عنايتهم بمؤلفات (ابن رشد) ، التي لم ينشر منها حتى الآن إلا القليل ، وأن يقوموا بتحقيقها ووضع فهارس كاملة لها ثم أن يتعمقوا في دراستها وشرحها لبيان مكانتها وتأثيرها في تطور الفكر البشري وللاستفادة منها في بناء فلسفة عربية جديدة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net